البنائية بين المدرسة البابلية والمدرسة الحديثة

مراجعة مقال Rview article

م.د اثير لطيف كاظم

Atherlk907@gmail.com

وزارة التربية/ مديرية تربية بابل

الملخص

البنائية نظرية معرفية تمتد جذورها الى زمن بعيد عبر القرون الماضية وقد تم تكرار هذه النظرية لدى العديد من الفلاسفة لما لها من الاثر البالغ في البناء المعرفي للفرد حيث تركز على دور المتعلم المحوري في بناء افكاره بالشكل الصحيح من خلال ربط المعرفة السابقة للمتعلم التي هي البنية المعرفية (الرصيد المعرفي العلمي) منذ بداية التعلم والتي عن طريقها يتم بناء المعرفة الجديدة ويعيد تنظيم هذه المعارف بالشكل الامثل .

وهناك من يرى انها "ظهرت النظرية البنائية كمنهج للتفكير منذ زمن بعيد عندما احدث "ديكارت Descartes" (١٥٩٦– ١٦٥٠) نقلة في دراسة العلوم الطبيعة فيعد ذلك العلم الحديث بنائياً لأنه استهدف الاهتداء الى البناء الكامن وراء الظواهر الطبيعية والتعبير عن هذا البناء باللغة الرياضية" (حسن زيتون ، ٢٠٠٣، ص١٣)

اما البابليين وفقد كانت بوادر النظرية البنائية هي بتسجيل وكتابة ما تطرح للظواهر الكونية والطرق التي يمكنهم بواسطة تبليغ ارادتهم الى الالهة او تنبؤهم بالمستقبلية(طه باقر ، ديانة البابليين والاشوريين ، ١٩٤٦، ص١). وكل هذا كان مكتوب على اللواح طينية مفخورة للحفاظ عليها من العوامل الخارجية وهذا يدل على وجود دارس وطلاب ومعلمين يرشدون المجتمع الى التعليم والتعلم والحفظ والقراءة والكتابة وبناء فكر الافراد في ذلك الزمن.

الكلمات المفتاحية: البنائية، المدرسة البابلية، المدرسة الحديثة.

Search title is English Constructivism between the Babylonian School and the Modern School

Atheer lateef kadhlm

University Professor/ Babylon Education Directorate

Abstract

Constructivism is a cognitive theory whose roots extend back to a time long ago, across past centuries. This theory has been repeated by many philosophers because of its profound impact on the cognitive construction of the individual, as it focuses on the pivotal role of the learner in constructing his ideas correctly by linking the learner's prior knowledge, which is the cognitive structure (the scientific knowledge base). From the beginning of learning, through which new knowledge is built and this knowledge is reorganized in the best possible way.

There are those who believe that "the constructivist theory emerged as a method of thinking a long time ago when Descartes (1596-1650) made a shift in the study of natural sciences. This modern science is considered constructivist because it aimed to find the structure behind natural phenomena and express this structure in mathematical language" (Hassan Zaytoun, 2003, p. 13).

As for the Babylonians, the beginnings of constructivist theory were in recording and writing down what they proposed for cosmic phenomena and the methods by which they could communicate their will to the gods or predict the future. All of this was written on baked clay tablets to protect them from external factors. This indicates the existence of schools, students, and teachers guiding society towards education, learning, memorization, reading, writing, and the development of individual thought at that time.

Keywords: Constructivism, babylonian school, modern school>

المقدمة

سكن البابليون مدينة بابل * الموجودة لحد الان ، وهي تعتبر من الامبراطوريات الكبيرة ولا يعرف الزمن الذي نشأت فيه مدينة بابل الا انها كانت معروفة عند السومريين باسم (كال – دينكر – را) وهي ترجمة سومرية للكلمة الاكدية (باب – ايلي) القريبة من العربية ، حيث تميزت بأنها ارض زراعية واشتهرت ايضاً بالتجارة والفنون والعلوم التي تحفز الافراد على كتابة وتدوين تلك المعاملات والفنون والنظريات الهندسية والفلكية حيث ان هذا الانتعاش الاقتصادي

جعل منها تزدهر في كل ميادين الحياة وما يعنينا في بحثتي هذا هو التعلم والتعليم مثلا الهندسة والنظريات العلمية مثل قياس النسب للأشكال وتصاميم بناء القصور المعابد والبيوت وعلاقتها المباشر بالكتابة والتدوين التي كانت تعلم في اماكن خاصة بالتعلم وهي غرف الصفوف ويتم حفضها باماكن خاصة يتولاها مجموعة من الكتاب والمدونين (المعلمون) .

لا نغادر الحقيقة بتقولنا ان البنائية نظرية هي اسلوب تدريس يتكون من التفاعل النشط بين الطالب والمعلم بهدف يقوم المتعلم ببناء معرفته بنفسه فان الطالب هو محور العملية التربوية وان التركيز منصب عليه كون الطالب له مميزات تجعله متمكن من البناء المعرفي والعقلي بنفسه وحسب القدرات التي يمتلكها من دماغ يمكنه جمع البيانات والمعلومات المعرفية وتحليلها ومناقشة تلك النتائج لتكوين افكار يستطيع ان يناقشها مع المعلم او مع اقرانه ويمكن ان يثبت تلك الافكار المعرفية كما كان البابليين يعتمدون على مناقشة الظواهر الكونية التي يمر بها من شروق الشمس وظهور القمر والاعاصير والزلازل والكسوف والخسوف ويبنون معرفتها العقلية بتلك الظواهر وحماية انفسهم ومواشيهم وغلاتهم الزراعية .

ان النظرية البنائية تركز على جوانب محددة وهي المعارف السابقة للطالب وعلى هذه المعارف يمكن ان يبني المعرفة الحالية التي ينبغي ان يتعلمها الطالب في هذه المرحلة العمرية الزمنية وبتوفير بيئة تعليمة مفتوحة جاذبة لتعلم الطالب منها طريقة تقديم المواد الدراسية وتشارك الطلاب في حوارات تمكن الجميع من ترجمة المعلومات الى افكار لتلائم مع القدرات الادراكية للمتعلمين من خلال الاكتشاف واقتراح مجموعة افكار للظواهر الغير مفهومة واقتراح تفسيرات منطقية وضع الحلول للمشكلات التي واجهة المتعلمين واتخاذ افضل القرارات وتدينها لاهميتها ، ولان المتعلم هو المحور الاساسي في التعلم البنائي يجب على المعلم دعم الافكار البناءة اي منح المتعلم فرصة كاملة من خلال المناقشة والحوار مع المعلم واشراك المتعلمين اقرانه وان هذه الافكار تنمي عقل المتعلم وتدعم نموه الفكري والعقلي بحيث يمكن ان يكون المتعلم مبتكر فهو يحقق ذاته ويبني استقلاليته الفردية العبقرية بدلا من الاعتماد على المنهج المحدد الذي يركز على جوانب محددة لكل مادة تعليمية .

ان مسيرة التطور المجتمع الإنساني في ذلك الوقت هي ضمان بقاء الجماعة التي تسود فيها الحقب الزمنية واستمرار رفاهيتها ومتى ما وفرت تلك الدول القديمة الطعام والمسكن وحلت مشاكل الحصول على المواد الخام ،حيث ان من مميزات سلوك الإنسان قدرته على التعليم بطرق متعددة أي قدرته على تحليل الخبرات التي توجد في مجال حواسه وان هذه المسيرة تسمح للإنسان أن يطور قدراته وخبراته وفق نظرية التطور على أساس من كون هذه الافكار استوحاها من ممارسته اليومية وعلاقتها بالطبيعة المحيطة به . ما هو أثر التعلم البنائي في النمو الفكري البابلي والمدرسة الحديثة ؟

ويتميز التعلم البنائي لعقائد البابليين الدينية في عهد امبراطورية بابل كانت على ما كانت عليه في العصور السابقة من طرق تعلم والتي هي تدوين افكارهم على الالواح الطينية حيث يتم فخرها في وقت لاحق للمحافظة على اللوح وما تم تدوينه عليه ، وقد كان تدوين البابليين هو للحصول على المنافع المادية من الالهة وجعل انفسهم في حرز من غضبها وسخطها ، وكانت طقوسهم الدينية والفكرية تدل على انهم كانوا يشعرون بخطايا وعدم استحقاقهم لمراحم الالهة ان هذه الدوافع الدينية عند البابليين قد اثرت على تعلم الفرد البابلي وتراكم لخبراته العلمية والفنية المختلفة فقد ابدع في مجال البناء للقصور والمعابد والجنائن المعلقة التي انتجها الفرد البابلي .

ان المدرسة البنائية البابلية اكدت على تكوين النقوش والصور الجدارية بالطريقة نفسها التي عرفت في العصر الاشوري اي انها وظفت التعليم البنائي المسبق والتطور الفكري والعقلي وظهر ذلك جلياً حيث ظهرت بشكل أكثر تطوراً وتقدماً من خلال معابدهم وقصورهم ومنازلهم بطريقة اكثر اتقاناً ودقة وذلك بتألف الاشكال المراد تشكيلها بالاجر المفخور المزجج الملون بـ ألوان مختلفة احياناً يكسي الاجر بالمينا ذي البريق المعدني واضا استخدموا وحدات زخرفية حيوانية خرافية متكررة وكائنات بشرية مجنحة ووحدات هندسية ، وقد تميزت الوانهم في الغالب هي باللون الازرق والابيض والاصفر وان اسس تلك الرسوم هي في الغالب ملونة باللون الازرق.

فإذا امعنا النظر في طريقة تزيين المعابد والقصور البابلية نصل الى حقيقة اساسية مفادها ان هناك متعلمين بنو معرفتهم وخبراتهم بانفسهم من خلال اكتساب اسس المعرفة المسبقة وبالتكيف مع البيئة الخارجية ومتطلباتها التي يتفاعل معها فوجدنا براعة بالتصاميم والتشكيل حيث لا نجد فارقاً يتمثل بنوع الزخارف المعتمدة في تلك الحقبة البابلية القديمة المشار اليها والحقبة البابلية الجديدة وانما اعتمد التزيين على الابعاد الخرافية والاسطورية والهندسية وحيوانات وهمية او خرافية او واقعية واشكال ادمية او قسم منها اتخذ شكل الانسان والحيوان في آن واحد وهذا يؤكد على اثر التدريس البنائي في الفكر المتعلم البابلي .

تعد التربية من أكثر المجالات تطبيقا للنظرية البنائية من خلال المعلم والمتعلم والمنهج التعليمي حيث ركزت التربية على المتعلم كمحور رئيسي فهو المستهدف من العملية التعليمية وان بناء الامم بمخرجات التعليم وعدد المتعلمين الذين يصبحوا في ما بعد علماء ومفكرين وعباقرة فاغلب التكنلوجيا الحالية ما هي الانتاج تطبيق افكار ابنائهم العباقرة فصناعة الطائرة والسيارة والنقال والحاسوب والشبكات العنكبوتية والتواصل العالمي الحالي ماهي الا افكار كانت تطرح في غرف الدرس وتناقش وتحول الى تجارب عملية تفشل مرة وتنجح فيما بعد اي ان التعليم يكون ذا معنى فان هذا يتطلب من المتعلم ان يصل باستخدام معارفة وافكاره الى اقصى

ما يمكن وبنائها على الافكار السابقة والمحاولات العديدة التي قام بها ليتمكن من فهم المعارف الحالية وبنائها وكل هذا باشرك زملائه واقرانه والاندماج معا لبناء معارفهم العلمية ومفاهيهيمهم للوصول الى حلول ابتكارية في ذات الوقت وقد تكون سابقة ويليها ابتكارات اكثر تطور فيما بعد.

وقد تبين لنا ان للبيئة والطبيعة من أثرها على الارض حيث لم تذر لنا من اثار الصناعة البابلية التي تدل على رقي سكان بابل، وايضا ايدي الدمار لها دور في اضمار ما تركته حضارة بابل مثلاً فقد دمرت هذه الايدي الغازية كل ما شيده حمورابي في بابل من المباني السامية والقصور الشاهقة تخليداً لذكراه على تعاقب العصور والحقب وقد كان للبابليين مركزاً مهماً في فن الهندسة والبناء ثم شاع استعمالها بعد ذلك في الغرب حتى وصل الى اوربا ولم يات هذا التطور عن فراغ بل جاء عن طريق المعلم والمتعلم حيث نجد المدرسة التي اكتشفها الفرنسيون عام ١٨٩٤م،والتي تعد اقدم مدرسة في العالم ، حيث كان هناك تلاميذ ومعلمون يعلمون التلاميذ الكتابة وبقية العلوم، وقد كان التلاميذ يكتبون على قطعة من الطين الطري ثم يمسحون هذه الكتابة ويكتبون موضوع آخر بني لى مخرجات الموضوع المسبق اي تعلم بنائي للعقل والتفكير، وعند المراحل المتقدمة نجد ان التلاميذ يقومون بفخر كتاباتهم وعلومهم المهمة منها الفلكية والحسابية والهندسية والفنية وبقية العلوم الاخرى(جايمس هنري براستيد ،العصور القديمة، ص١٠٠). ويقتصر دور المعلم فى هذه المرحلة على التوجيه المعقول للطلاب أثناء قيامهم بهذه الأنشطة ،وتشجيعهم على مواصلة القيام بتلك الأنشطة دون أن يتدخل بشكل كبير فيما يقومون به .

ان المدرسة البنائية البابلية قدمت تفسيرات وابداء حلول واختبار صحة هذه الحلول المطروحة والمقارنة بيهما من خلال الارث الهندسي والتصميم الحسابي الابداعي في ذلك العصر وهذا يؤكد الاتصال والتواصل بين المتعلمين انفسهم وبينهم وبين المعلمين اذ اشترك الجميع في بناء المعرفة اولا على جميع المستويات وتشكيل القصور والمعابد والابراج وهذا يدلل توفير الوقت الكافي للقيام بتلك الانشطة الفكرية الابداعية وتطبق ذلك على ارض الواقع بحساب الزمن والبيئة والطبيعة فشيدوا برج بابل العظيم وهو البناء الديني لالة السماء مردوك الذي يسمى (اتمنانكي) ، وان هذا النوع من الابراج الذي يسمى زقورة ، حيث كانت منتشرة في القسم الاسفل من بلاد ما بين النهرين، ويعتبر هذا البرج من نوع الابراج مربعة القاعدة بني هيكله باللبن واحيط بالاجر وقد تألف من سبع طبقات وكل طبقة اصغر من سابقتها ويرقى الى هذه الطبقات سلم وكان يوازي ناطحات السحاب في العصر الحالي ، وايضا هناك صروح المعمارية اقامها مهندسوا مهرة تسمى الجنائن المعلقة تعتبر بناية مستطيلة بشكل غير منتظم ، تتكون على

شكل طبقي ونلاحظ أن طبقات هذه المصاطب تصغر كلما ارتفعت الى الاعلى وكل طبقة زينت بأنواع مختلفة من الاشجار مع وجود سلم يرتقي به الى اعلى الجنائن .

اما اثر المدرسة البنائية البابلية على متعلمين الحضارات الاخرى فنجد ذلك جليا من خلال النظرة الفاحصة للإنشاء العمراني للمصاطب العالية الهرمية الشكل لحضارة المايا والازتيك والانكا(بهنام ابو الصوف: ١٩٩٢،ص٨١) تجعل المتلقي يتجه بفكره على الفور الى المدرسة البابلية للعلوم العمرانية والتصاميم الانشائية العالية للمعابد والقصور وما يكمن ورائها من فكر معرفي ديني وطقوسي لهذا كله نشير باطمئنان كبير الى التأثر الواضح للمعلمين والمتعلمين حضارة اميركا الوسطى بالمدرسة البابلية القديمة وبالأخص العراق وادي الرافدين منبع الهندسة والفلك والحساب والعمارة والفنون وجميع العلوم الاخرى التي شهد لها الجميع .

المراجع

١. طه باقر : ديانة البابليين والاشوريين ، مجلة سومر ، المجلد الثاني ،ج٢، ١٩٤٦،

٢. جايمس هنري براستيد ، العصور القديمة ، ترجمة ، داوود قربان ، المطبعة الامريكانية، بيروت ، ١٩٣٦.

٣. حسن حسين زيتون، عبد الحميد كمال زيتون : ٢٠٠٣ ، استراتيجيات التدريس رؤية معاصرة لطرق التعليم والتعلّم ، عالم الكتب ، القاهرة .

٤. بهنام ابو الصوف: حضارات المايا والازتيك والانكا في امريكا الجنوبية، مجلة افاق عربية،تشرين الثاني ،السنة السابعة ، ع ١١ ، ١٩٩٢،ص٨١.